

أضواء البيان

@ 421 عنه : أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنْ أَلَيْمَ لِلظَّالِمِ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ) ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } ، وقال تعالى : { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَهَا وَلَهُمْ آخِذٌ تَهَاوٍ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { فَآخِذُوا بِالْآيَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ } قال أبو حيان في (البحر) : ومعنى قوله (من بينهم) أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين انتهى محل الغرض منه . قوله تعالى : { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُ تَوَنُّدًا وَلا كِرْرًا الظَّالِمُونَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآيَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ } . قوله { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ } صيغتنا تعجب . ومعنى الآية الكريمة : أن الكفار يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرسل سمعاً وإبصاراً عجيبين ، وأنهم في دار الدنيا في ضلال وغفلة لا يسمعون الحق ولا يبصرونه . وهذا الذي بينه تعالى في هذه الآية الكريمة بينه في مواضع آخر . كقوله في سمعهم وإبصارهم يوم القيامة : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } ، وقوله تعالى : { لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } ، وكقوله في غفلتهم في الدنيا وعدم إبصارهم وسمعهم : { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } ، وقوله : { يَعْزِمُ الْمُؤْمِنُونَ أَلَّا يُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَئِنْ أُلْحِشُوا إِلَى الدِّينِ نَزِيزًا وَهُمْ عَنْ آلِهِمْ مِغْفَرُونَ } ، وقوله : { صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } ، وقوله : { مَثَلُ الْفَرَارِيِّ إِذَا كَلَّاهُ عُمَى وَالْآسِمْ وَمَثَلُ الْفَرَارِيِّ إِذَا كَلَّاهُ عُمَى وَالْآسِمْ } . والمراد بالأعمى والأصم : الكفار . والآيات بمثل هذا كثيرة . واعلم أن صيغة التعجب إذا كانت على وزن أفعل به فهي فعل عند الجمهور ، وأكثرهم يقولون إنه فعل ماض جاء على صورة الأمر . وبعضهم يقول : إنه فعل أمر لإنشاء التعجب ، وهو الظاهر من الصيغة ، ويؤيده دخول نون التوكيد عليه . كقول الشاعر : مَثَلُ الْفَرَارِيِّ إِذَا كَلَّاهُ عُمَى وَالْآسِمْ وَمَثَلُ الْفَرَارِيِّ إِذَا كَلَّاهُ عُمَى وَالْآسِمْ } . والمراد بالأعمى والأصم : الكفار . والآيات بمثل هذا كثيرة . واعلم أن صيغة التعجب إذا كانت على وزن أفعل به فهي فعل عند الجمهور ، وأكثرهم

يقولون إنه فعل ماض جاء على صورة الأمر . وبعضهم يقول : إنه فعل أمر لإنشاء التعجب ، وهو الظاهر من الصيغة ، ويؤيده دخول نون التوكيد عليه . كقول الشاعر : % (ومستبدل من بعد غضيباً صريمة % فأحربه من طول فقر وأحريا) % .

لأن الألف في قوله (وأحريا) مبدلة من نون التوكيد الخفيفة على حد قوله في الخلاصة :

لأن الألف في قوله (وأحريا) مبدلة من نون التوكيد الخفيفة على حد قوله في الخلاصة : % (وأبدلتها بعد فتح ألفا % وقفاً كما تقول في قفن قفا) %